التطور التاريخي للعلاقة الحضارية بين الشرق والغرب

د . سناء سليمان سعيد مصطفى

جامعة المنيا/ مصر

مقدمة:

تعد العلاقات بين الشرق والغرب علاقات أزلية، منذ بدأ الاحتكاك الحضارى بين الحضارتين الإسلامية والغربية؛ فهذه العلاقة لم تبدأ اليوم؛ بل إن لها رصيدا تاريخيا ومتجددا فى الوقت نفسه بتجدد مواقف كلا الطرفين؛ تلك العلاقات التى كانت موضع اهتمام جل كتاب العالم، حيث إنها تمتلىء برصيد من الشوائب والعداء والتكفير المتبادل بين الحضارتين، والاستعمار والتعاملات المتنوعة ؛ وذلك لأن الغرب يعتمد فى جُلّ تعامله على الاستعلاء، والاستغلال، والأوهام، والتزييف المبنى على أساس من صور نمطية قديمة لكل من الشرق والغرب، وتضخيم الغرب أمام الشرق ، وقد كانت بدايات انفتاح هذه العلاقات بين الشرق والغرب، واكتشاف الجانب الآخر عن طريق الرحلات التى تُعد النواة الأولى لتلك الاكتشافات، وتوطيد العلاقات المتبادلة بين الحضارتين، وفتح باب التأثر والتأثير من خلال الاحتكاك المباشر أو غير المباشر.

الحملات الصليبية (1095 م)

بدأت العلاقة بين الشرق والغرب ببداية الحركات الاستعمارية والعسكرية على البلاد، وتمثلت فى الحملات الصليبية؛ فكانت بداية

الحركات الاستعمارية والعسكرية ضد الشرق العربى والإسلامى، والتى تمثل بداية هذه العلاقات، وهذا الاتصال القائم بين الحضارتين الشرقية والغربية، ولقد ذهب الباحث فى تأكيد قوله:-" **لقد بدأت أحداث الحركة الصليبية الفعلية فى السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة 1095م بالخطبة التى ألقاها البابا أربان الثانى rabanII (1088-1099م) فى حشود المستمعين الذين اجتمعوا فى حقل فسيح فى أوفرينى بكليرمون فى جنوب فرنسا، وكانت هذه الخطبة الشهيرة خاتمة مجمع دينى عقده البابا، وجمع الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثوليكية المتردية. وكانت الدعوة التى وجهها البابا بشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين فى فلسطين بمنزلة إذن الدخول إلى رحاب التاريخ.**"(1)

ويعد هذا التاريخ 1095م، بمنزلة بداية الحملات الصليبية، والتى انتشرت على الشرق بأمر من البابا أربان الثانى، والذى شن حملة واسعة لمحاربة المسلمين فى فلسطين. وتعد الحملات الصليبية من أهم المؤثرات التى أثرت فى الغرب الأوروبى من حيث اتصاله بالآخر الشرقى، واطلاعه على تقدمه الحضارى. كما ذهب الباحث فى قوله:-**"هذه الحركة كانت واحدة من القوى الكبرى التى حركت تاريخ الغرب الأوروبى، إذن الحركة الصليبية ظلت تحكم الأفكار والمشاعر فى الغرب الأوروبى فيما بين سنة 1095م وسنة 1400م بصورة شاملة.**"(2) فبدأت العلاقات بين المشرق الإسلامى والغرب النصرانى تأخذ طابعا عسكريا يمثل انتفاضة الغرب، وبداية السعى نحو المركزية الأوروبية، التى أسست

على عدم التفاهم والتعاون والحوار؛ وعلى قاعدة غالب ومغلوب، يضمحل الآخر خارج هذه القاعدة ويصبح منتهيًا، ويحرم من كيفية السيطرة ؛ وذلك لأن هذه العلاقات تحكمها إرادة التفوق، والقوة، والسيطرة، والهيمنة، والغلبة، وليست تحكمها قوة التفاهم، والتعايش، والحوار، أعلنت الحملات الصليبية أن دافعهم الوحيد هو الدافع الدينى؛ وهم بصدد الدفاع عن الدين النصرانى الغربى ضد الدين الإسلامى الشرقى، وتأمين طريق الحجاج النصارى إلى كنيسة القيامة بالقدس، ورغبتهم فى استرداد الصليب المقدس، الموجود فى حوزة المسلمين فى بيت المقدس.

لكن من الناحية الثقافية بدأت وسائل التعارف والاتصال من خلال الحملات الصليبية، على الشرق الإسلامى، واكتساب العادات والتقاليد فى كل شئون الحياة من خلال الاحتكاك بحياتهم، والتعمق فيها، والإعجاب والتأثر بها، والانبهار بما استجد عليهم، ومحاولة نقل هذه الحضارة إلى بلادهم، وتولد عن هذا الاحتكاك ظاهرة التأثر والتأثير بين الحضارتين الشرقية والغربية، وأقبل الغربيون على المعرفة العربية فى جميع الميادين سواء فى بلاد الشام، أم فى بلاد الأندلس، أم فى صقلية، وما انتقل تراث الحضارة الإغريقية إلى أوروبا الغربية، إلا عن طريق العرب من خلال الترجمة، كما أخذ الغرب عن العرب فى مجالات العلوم المختلفة، من الطب، والفلك والكيمياء، والجغرافيا، والرياضيات والعمارة، لقد استفاد الغرب من العرب فى الجوانب الأخلاقية أيضاً، وذلك لأن العرب يتصفون بأخلاق الفروسية القوية، والمهارة ، وفنون القتال والمبارزة، ويدل

الأخذ عنهم على التأثر بهم، سواء من الناحية الأخلاقية أم من الناحية الحربية، وإعجابهم بفنون القتال، وأساليبه لدى العرب.

ويؤكد ذلك(جوستاف لوبون Custavelebon) :-"**أنه عندما اتصل الأوربيون بالعرب واقتدوا بهم،لانت العوائد الخشنة لدى أشراف القرون الوسطى القساة ، وتطلع أهل الفروسية على عواطف أرق من عواطفهم وأشرف وأليق بالإنسانية "(3)**

وتعد شهادة (جوستاف لوبون) شهادة مهمة للعرب، وتحسب على الغرب، ، وتدل على أن العرب كانوا أكثر إنسانية وأرق عواطف، وأصحاب مشاعر تليق بالتحضر فى حين كان أهل الغرب يتصفون بالقسوة، والغلظة، والفظاظة، وأخذ الغرب فى تقليد العرب فى عاداتهم الرقيقة، وصفاتهم الحسنة، وطبيعتهم الراقية، ولين الطباع، ورقة الأسلوب، وغيرها من الصفات التى ترجع إلى دينهم السمح المتمثل فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وكتب المؤرخون الغربيون والكتاب عن الجانب المشع فى العلاقات الشرقية الغربية أثناء الحروب الصليبية؛ فإن ما ذكره المؤرخ البريطانى (السير ستيفن رونسمام)على خلاف ذلك حينما قال:-"**علاقة الشرق والغرب، سلسلة طويلة من التفاؤل والاختلاط وكانت الحروب الصليبية حلقة مأساوية هدامة فقد كان فيها كثير من الشجاعة والقليل من الشرف، وكثير من التقوى، وقليل من التفهم، ولطخت المثل العليا بالقسوة والجشع، ولوت التفانى والجلد والإحساس الأنانى الأعمى، واختلط أخيرا السمو الأخلاقى بضيق**

الأفق"(4)ويعد ما ذكره السير(ستيفن رونسمان) شهادة مهمة عن همجية هؤلاء المحتلين، وتعد فترة الحروب الصليبية البداية الحقيقية لمعرفة الغرب الأوروبى بالشرق الإسلامى معرفة حقيقية وواقعية، عن طريق التعايش والاحتكاك؛ فمنذ تلك اللحظات بدأ انتقال الآثار الفنية الشرقية من بلد أوروبى إلى بلد أوروبى آخر.

لقد أسهم هذا الانتقال فى تشكيل أغراض رائجة للتجارة ؛ فانتشر بذلك الفن العربى بمنسوجاته، وأقمشته، ونقل الرحالة ذكرياتهم وملاحظاتهم لبلادهم، وأضافت تلك الحروب مؤثرات شرقية مهمة وجديدة فى الثقافة والفن الأوروبى، ومن أهم هذه المؤثرات الفنية الشرقية فى فنون الغرب فى تلك المرحلة، محاكاة القوالب الفنية الإسلامية من أشكال الأرابيسك والنقش والتوشية والزخرفة الهندسية والألوان المزركشة فى الفنون التطبيقية التزيينية، كما أخذ فرسان الحروب الصليبية عن الشرق عاداته فى تغطية الأبراج، ونشاهد ذلك فى حصن (learne) فى بلجيكا، وحصن ردول فى ألمانيا، وحماسة فرسان الحروب الصليبية فى وورمز (wams)حيث غطت أبراج كنيسة القديس بولس بتلك الخوذ الحجرية، ونحتت فى داخلها رسماً لسفينة الحروب الصليبية، ورغم عدم إمكانية رؤية جمال تلك الخوذ لشموخها عاليا وسط سماء دائمة التلبد بالغيوم ، فإنها لا تزال تقليدا راسخا فى ألمانيا، وبعد مائتى عام من الكر والفر ارتد الصليبيون من حيث أتوا، راضين من الغنيمة بالإياب، غير أنهم استفادوا من هزيمتهم ولم يستفد الشرق من انتصاره .

وقد ذهب الباحث:-**"عند نهاية الحروب الصليبية ، أقامت النهضة الأوروبية ، وأخذت تخلع ثوب القرون الوسطى، وتوقف**

النمو أو كاد في الشرق ، وانتهى بالسيطرة الكاملة للغرب على الشرق وبزوغ الظاهرة الاستعمارية "(5)، وكانت فترة الاستعمار؛ التى نقل فيها الغرب صورة الشرق بكل خيراته وكنوزه، إلى الحضارة الغربية مما أدى إلى زيادة أطماع دول الغرب عامة فى الشرق، متمثلة هذه الأطماع فى قدوم الحملة الفرنسية على مصر، والحملة الإنجليزية على كل بلاد الشرق؛ بهدف السيطرة على خيرات البلاد ومنتهزين غفلة الشرق وضعفه وجهله.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن نظرة الشرق والغرب تعتمد على الجانب المادى والجانب الروحى حيث يرى فى ذلك أن :"**نظرة الشرق إلى الوجود نظرة الفنان، فى حين كانت نظرة الغرب إلى الوجود نظرة العالم، حتى لا تستطيع أن تعد الشرق معرضاً كبيراً من معارض الفن وأن تعد الغرب معملاً كبيرأ من معامل العلم .فما من شك فى أن للشرق لوناً ثقافياً واحدا نتحد فيه جميعاً وهو الروحانية التى ظهرت فى أرضه ديناً وفناً**."(6) ويعد بذلك الشرق هو الشرق الروحانى، فهو أرض الفنون والروحانيات والنقاء الذهنى، أما الغرب المادى فهو أرض العلم والجفاف الروحى، لما لديه من نظرة استعلاء على الشرق، وحب وتمسك بالعلم؛ وهذا هو الفرق بين الغرب والشرق، ولقد أصبح الشرق الآن مصدراً للعلم ، ومهادا للأبحاث العلمية، وأرضا خصبة لنشر الثقافة بجميع أنواعها وفروعها.

الاستشراق Orientalism

يهتم الاستشراق بطلب العلم بالشرق والاتجاه نحوه ، ويطلق على كل من يبحث فى أمور الشرق والشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم، وحضارتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، اسم (مستشرق)،كما ذهب الباحث إلى ذلك فى قوله:-**"يشير هذا المصطلح فى مدلوله الأساسى أو المتداول إلى الاهتمام العلمى أو الأكاديمى الغربى بالثقافات الشرقية،أو الآسيوية تحديدا بما فى ذلك الشرقين الأقصى والأدنى، بما يتضمنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة."**(7) ويعتد بالجانب العلمى والأكاديمى الغربى بالشرقين الأقصى والأدنى، والتركيز على الدراسة الدقيقة والتحقيق والترجمة.

وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين فى قوله:-**"يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية فى كل مجتمع شرقى، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية فى شتى صورها وأنواعها."**(8) وترتب الاستشراق على التنقل والترحال بين الشرق والغرب، وتخصص كل مهتم بدراسة الشرق وسفره، وتنقله بغرض التدقيق والدرس على أساس علمى واضح ، وإن كان الغرض الأساسى هو معرفة مكامن البلاد للاستيلاء عليها. ويكون الاستشراق بمنزلة الوجه الثقافى للرحلات، ورصدها تمهيدا للاستعمار.كما يذهب أحد الباحثين فى تعريف الاستشراق:- **"الاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، وشعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم**

الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم.وكان هدفهم الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية."(9) إذن فالاستشراق دراسة تخص الشرق بكل ما فيه من شعوب وتاريخ ودين ولغة وعقيدة ووضع اجتماعى وأرض وحضارة، بهدف تصيد الأخطاء لهذه الحضارة وللعقيدة التى تؤمن بها.

وقد ذهب أحد الباحثين إلى تعريف الاستشراق بأنه:- **"حركة التوجه الأوروبى الغربى عامة نحو الاهتمام ببلدان الشرق الأسيوى، والشرق العربى لدراسة أوضاعها من مختلف الوجوه؛ ولا سيما اللغوية، والأدبية الدينية والتاريخية "**(10) ويعد الاستشراق حركة توجه أوروبية غربية، ويهتم المستشرق بدراسة الشرق دراسة تفصيلية؛ لكل أوضاع الحياة فى الشرق؛ لا سيما الأوضاع الدينية، والتركيز عليها جملة وتفصيلا. بينما ذهب أحد الباحثين للوقوف على تعريف المستشرق بأنه:-**"المستشرقون:هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير،وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار."**(11)

ويفصل (برنارد لويس) الدلالات المرتبطة بكلمة (الاستشراق) بأنها **"كلمة الاستشراق فى الماضى مستخدمة بمعنيين اثنيين المعنى الأول كان يدل على مدرسة الفن وعلى مجموعة من الفنانين ترجع**

أصول معظمهم إلى أوروبا الغربية ،كانوا عبارة عن رجال رحالة إلى الشرق يقيمون لفترة من الزمن فى الشرق الأوسط وإفريقيا الشمالية، ويرسمون ما يرونه أو ما يتخيلونه"(12)

ويستهدف المستشرقون دراسة الشرق عن طريق الرحلة إلى البلاد المختلفة، يدرسون ويتأملون، ويرسمون ما يرونه أو ما يتخيلونه، ولكل عالم وجهة نظر خاصة به، ولقد تعددت الآراء، ووجهات النظر، عند علماء الغرب وتكونت أفكارهم ومخيلاتهم عن بلاد الشرق، ووضحت الصورة التى يبغونها، ولم يتوقف مفهوم الاستشراق عند هذا الحد، بل عرفه أحد الباحثين بأنه:-**"كلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق) وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم المشرق أو علم العالم الشرقي"**(13) ويتسم هذا التعريف بأنه مختصر وشامل فى الوقت نفسه، ويشير إلى أن الاستشراق يعنى بالدراسة العلمية للشرق بجميع مجالاته وعاداته، وتقاليده، وأديانه، ومعتقداته، وأفكاره، وثقافته، أى أنه يعتنى ويهتم بكل ما يختص بالشرق. وهذا ما ذهب إليه الباحث إلى أنه:-**"دراسات كتبها علماء فرنسيون معاصرون حول زوايا متعددة من موضوع واحد وهو الأدب العربى،ومن ثم فإنها تلتقى جميعا بصرف النظر عن قيمة الفردية لكل منها .. حول خارطة جغرافية واحدة تحدد نقطة البدء ونقطة النهاية، أو تحدد انتماء الذات الدارسة وانتماء الموضوع المدروس وتعكس فى النهاية جانبا من اهتمام الدارسين "الغربيين**

"بالموضوعات الشرقية وهو اهتمام اصطلح فى كلا الجانبين على أن يسمى "الاستشراق"(14).

وتتسم التعريفات السابقة للاستشراق، على أنه يؤكد اهتمام علماء الغرب بدراسة أحوال الشرق وأموره سواء كانت هذه الدراسة من الجانب الأدبى أو الجانب السياسى، أو الجانب الاجتماعى أو الجانب الاقتصادى، بمعنى الاهتمام بأحوال الشرق بكل مجالاته، وتكون الدراسة من قبل علماء متخصصين من الغرب، ولذلك يأتى الباحث يؤكد على هذا الرأى ويدلل بوجهات النظر؛ فيقول:-**"حيث وضح فيها أن هناك دلالات للاستشراق: جامعية أكاديمية، فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه فهو مستشرق، وعمله استشراق، سواء أكان المرء مختصاً فى علم الإنسان أم علم الاجتماع أم فقيهاً لغوياً"**(15) وبالنظر إلى هذا التعريف، وضح أن الاستشراق هو علم دراسة الشرق بكل فروعه، فأية دراسة تختص بالشرق هى استشراق، وهى لا تختص بعلم دون آخر؛ وإنما بكل العلوم البشرية الخاصة بالشرق. من خلال هذه التعريفات، نجد أن الاستشراق هو علم دراسة الشرق والتنقيب فيه، والوصول إلى أغراض علمية، أو سياسية، أو اقتصادية، ولذلك يعرف بطريقة سياسية على أنه **"الاستشراق هو أسلوب غربى يهدف إلى السيطرة على الشرق وبسط السيادة عليه "(16).**

ويأتى التعريف الجامع للاستشراق، والشامل فى المعنى العام له:- **"يطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته، وآدابه، وحضارته، وأديانه"**(17) ويتسم هذا

التعريف بالشمولية لكل ما جاء من تعريفات للاستشراق والجمع بين معانى الاستشراق التى استخدمها كل الباحثين فى هذا الشأن، وهو أقرب تعريف لكثير من الباحثين والدارسين العرب؛ لظاهرة الاستشراق وتحديد ملامح شخصية المستشرق بأن يكون (غير مسلم)؛ وذلك لأنه يصب جل اهتمامه بدراسة الدين الإسلامى، واهما أنه سوف يجد ما يفيد حجته بأن الإسلام هو الدين الخطأ، كما يريد أن يثبت ذلك للعالم أجمع؛ وبالرغم من هذا لكن أسلم الكثير ممن أرادوا اقتحام الدين الإسلامى والتعمق فيه فى ظل تحقيق أهدافهم.

ويهتم بدراسة مختلف أنماط الحياة الشرقية، ويكون متخصصًا فى أحد فروعها؛ ويدقق فى دراسته ويستخرج ما تمليه عليه تنقيباته. ولقد ذهب أحد الباحثين إلى أنه:-**"برناردلويس، إمام المستشرقين المعاصرين،غارق حتى أذنيه فى تقصى أثر"الأصولية" الإسلامية. من مساجد طهران إلى حجرات الوعظ فى لوس أنجليس،ومن حسينيات الجنوب اللبنانى إلى طوق التتار التاريخى القديم فى روسيا.ومنذ أن وضعت حرب الخليج الثانية أوزارها والرجل يتابع عظائم العالم الإسلامى مثل صغائرها، ويربط الأهوال بالسفاسف، ويستخرج لنا عوارض الرعب والإرهاب التى زرعها العثمانيون عند أسوار فيينا عام 1638**."(18)

ويتصف العالم المتخصص فى علم الاستشراق بهذه الصفات، ويسعى دائماً لتصيد أخطاء الشرق؛ لا سيما محاولة تتبع الأديان، اعتقاداً منه أنه سوف يوضح للآخرين من الغرب ماهية الشرق وأسراره، وخفاياه

المتمركزة فى دينه وعقائده، ويشهر سلبيات وأخطاء كانت مختفية، ولم يلاحظها إلا هذا المستشرق، أو يقلل من شأن الشرق بأبحاثة وتعقبه لأية أخطاء سواء أكانت موجودة أم غير موجودة فيه، بقصد تقليل صورة الشرق وتشويهه أمام العالم؛ ويجتهد دائما لتصيد هذه الأخطاء، لكى يحاول إثبات ما يريدون إثباته من صحة عقيدتهم، وبطلان عقيدة غيرهم.ولم يكن برناردلويس فقط هو الذى تطرق إلى دراسة الأصولية والإسلام؛ وإنما بداية الاستشراق نفسه تطرقت إلى الدافع الأساسى، وهو الدافع الدينى، كما ذهب أحد الباحثين فى قوله:-"**بدأ الاستشراق كما رأينا بدراسة اللغة العربية والإسلام، وانتهى- بعد التوسع الاستعمارى الغربى فى الشرق- إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هى أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم؛ نظرا للدوافع الدينية والسياسية التى شجعت على الدراسات الشرقية** ."(19)

ويكشف التعارض القائم بين الشرق والغرب، أن كل طرف يتمنى الاطاحة بالآخر، ولا يريد الاعتراف به، ولا بالجوانب المشتركة بينهما؛ فكل منهما ينتبه خشية من أن يبتلعه الآخر، أو أن يطيح به، أو ينفيه تماما عن خريطة الوجود.

ولقد اختلفت الرؤية باختلاف رؤية المستشرق للموضوع الذى يتحدث عنه ويعالجه، وذلك من خلال الاستشراق الذى يدمج الحضارة الغربية مع الحضارة الشرقية يؤكد الاستشراق استمرار المواجهة الحضارية

بين الحضارتين الشرقية والغربية، ولا نغفل أن المستشرقين ما زالوا يتصيدون أخطاء العرب، وهذا ما ذهب إليه الباحث في قوله: -"**إن الاستشراق، كما هو معروف، هو دراسة من خارج الشرق الأدنى والأقصى– بما في ذلك المغرب العربي– وهويته، ومراحل نموه، وتطوره التاريخي ، وثقافته، وفكره، وفنه، وعلمه، بهذا المعنى البسيط، الاستشراق مرآة للشرق وتاريخ وجوده. لذلك كان الاستشراق الغربي ومازال يشغل حيزا معينا في تاريخ العلاقات غير المتكافئة بين مجاز الشرق ورموز الغرب**"(**20**)

ويعد هذا التعريف والتركيز على أهمية الشرق، من خلال دراسته دراسة تفصيلية لكل محاور الشرق، والانصباب على ماهيته في كل ما يتصل بالشرق من علم، وفن، وفكر، ولغة، وثقافة، وتاريخ، وجميع مراحل وعادات الشرق. ويعود الكاتب؛ يؤكد على أهمية الأهداف المنشودة من المستشرقين وعلم الاستشراق في قوله:-"**مع ذلك صار استشراق القرن العشرين استشراق الاستعمار.فوضع المستشرقون علمهم في عقدى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين في خدمة سياسة الهيمنة، وأدى ذلك إلى الاختلال شبه التام في ميزان العلاقة بين المجتمعات الغربية الرأسمالية، والمجتمعات الشرقية .وعلى هذا النحو تطور الاستشراق.ومن هنا لم يفلت المستشرقون، بوعى أو بغير وعى، من التضامن المبدئي، المعرفي والسياسي، مع الثقافة الغربية التي يكتبون في إطار خططها**."(**21**) ويتضح من خلال التعريف أن الاستشراق يعد تخصصا علميا، يخدم أهدافا سياسية

واستعمارية. وهى الهدف الأول للاستشراق الذى يعد دراسة علمية للشرق بهدف الهيمنة عليه، والسيطرة على منافذه والتحكم فى مصادره.

بينما ذهب أحد الباحثين إلى تعريف الاستشراق بأنه:- **"الاستشراق يغدو بذلك ممارسا لقوة ذات اتجاهات ثلاثة على الشرق، وعلى المستشرق، وعلى "المستهلك" الغربى للاستشراق.وسيكون خطأ، فيما أعتقد أن نقلل من شأن العلاقة ذات الاتجاهات الثلاثة التى تتأسس بهذه الطريقة."** ومن ثم تتضح الرؤية الاستشراقية فى قول أحد الباحثين:**-"الرؤيا الاستشراقية، وهى رؤيا لا تقتصر بأية حال على الباحث المحترف، بل إنها ملك مشترك لكل من فكر بالشرق فى الغرب."**(22) فهى رؤية مشتركة بين المفكر والمستشرق الغربى وبين المادة المقررة للاستشراق وهى (الشرق) والجهة المستفيدة منه وهى (الغرب)؛ فقد خدم علماء الاستشراق قادة الاستعمار؛ بتوضيح الأماكن التى يجب استعمارها والاستفادة منها.والتركيز على الأماكن التى تكثر بها كنوز الأرض وخيراتها، وتوضيح نقاط الضعف والقوة لكل الأماكن التى ارتحلوا إليها.وتوصيل هذه المعلومات لقادة بلادهم؛ لكى يستعدوا لها،ويدرسوها جيدا، ويحددوا الأماكن التى يستعمرونها، ويستفيدون منها ومن كنوزها وخيراتها الوفيرة.

وكذلك توجد أهداف منشودة، وفوائد متنوعة للاستشراق واضحة ومحددة، يريدون اكتسابها من بلاد الشرق، كما ذهب أحد الباحثين فى قوله:**-" تنوعت أهداف الاستشراق وهى تدور على المحاور الآتية: 1- الفائدة العلمية ،2- الأغراض الاقتصادية ،3- الأغراض**

السياسية ،4- الأغراض البشرية ،5- استصلاح المسيحية."(23) تعددت أغراض الاستشراق وأهدافه التي يبتغيها من الشرق، وتمثل الغرض الأول في الاستفادة العلمية من الشرق، وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين في قوله:-**"كان الغرض الأول من دراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه.فقد رأت أوروبا أنها لا تستطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوروبا إلا بالعلم الذى أقام عليه المسلمون فتوحهم وحكمهم."(24)**

ويعد العلم هو الهدف الأول للاستشراق، وذلك لكي يتعرفوا على سر الشرق، لاسيما التركيز على العرب المسلمين والدين الإسلامي، في طريقة حكمهم ونجاح فتوحاتهم، وأسلوب تعاملهم مع شعوبهم. بينما وضح الغرض التجاري في قول أحد الباحثين:-"**احتاج الإيطاليون وغيرهم من المشتغلين بالاتجار مع شرق البحر الأبيض أن يتعلموا لغة العرب وآدابهم، وأن يتعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم حتى يمكنهم أن يحسنوا معاملتهم، ويعقدوا معهم المعاهدات بلغتهم."(25)** واستفاد المستشرقون من خلال الغرض التجاري، واكتسابهم لغات الشرق؛ لاسيما(العربية) لكي تساعدهم في عقد الاتفاقيات والمعاهدات، والتزود بمعرفة عادات العرب وتقاليدهم.

وهذا ما يهدف إليه الاستشراق،كما ذهب الباحث في قوله:-**"الاستشراق هو أسلوب غربي يهدف إلى السيطرة على الشرق وبسط السيادة عليه."(26)** وهذا هو الهدف الأسمى للاستشراق الذى يريد تحقيقه على سائر البلاد والدول.

الأدب المقارن:

يُعد دور الأدب المقارن حلقة من حلقات الوصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية؛ إذ نشط الاتصال بينهما عقب الكشوف الجغرافية، والرحلات المتبادلة بينهما.

ونشأت الدراسات المقارنة فى الأدب، لترصد مظاهر التأثر والتأثير فى مجال الأدب؛ لأنه يصور حياة الشعوب، وواقعها المادى والشعورى، وقد ذهب الباحث لتعريف الأدب المقارن فى قوله:- **"يدرس مواطن التلاقى بين الآداب فى لغاتها المختلفة ، وصلاتها الكثيرة المعقدة ، فى حاضرها أو فى ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر."**(27) ويهتم الأدب المقارن بدراسة تاريخ الآداب سواء الماضى منها أم الحاضر، والصلات التى تربط بينهما المعقدة والمركبة ومدى التأثر والتأثير الذى نشأ بينهما.

وقد ذهب الباحث لتوضيح مظاهر التأثر والتأثير فى قوله:-**"أيا كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر، سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التى تعالج أو تحاكى فى الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية فى العمل الأدبى، أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس فى آداب الأمم الأخرى،بوصفها صلات فنية تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب،ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل**

التأثير فى أدب الرحالة من الكتاب."(28) فتتمثل مظاهر التأثر والتأثير فى ارتباطها بالأجناس الأدبية المتنوعة، والتيارات الفكرية السائدة فى ذلك الوقت، بوصفها صلات تربط ما بين الشعوب،متجاوزة حواجز اللغة والجنس والثقافة يقول الباحث:- "**الحدود الفاصلة بين تلك الآداب هى اللغات،فالكاتب أو الشاعر إذا كتب كلاهما بالعربية عددنا أدبه عربيا مهما كان جنسه البشرى الذى انحدر منه فلغات الآداب هى ما يعتد به الأدب المقارن فى دراسة التأثير والتأثر المتبادلين بينهما."(29)** ويعد الشرط الرئيسى لانعقاد الدراسات المقارنة هو اختلاف اللغة، فإذا لم تختلف اللغة لم يعتد بها دراسة من الدراسات المقارنة ذات التأثر والتأثير المتبادل بين حضارتين مختلفتين.

وقد أكد الباحث ذلك فى قوله:-"**الأدب الذى يعنى بدراسة التأثيرات الأدبية المتبادلة التى تتعدى الحدود اللغوية والجنسية والسياسية كأن يدرس آداب بلدين فيقابل بينها، ويربط الواحدة بالأخرى ، مستخلصا أوجه الشبه والتأثيرات المتبادلة."(30)**

ويعرف الأدب المقارن بأنه العلم الذى يختص برصد العلاقات الثقافية والأدبية والحضارية بين بلدين مختلفين فى الجنس والثقافة واللغة؛ فتربط بينهما وتستخلص أوجه التشابه القائم بينهما. ويوضح أحد الباحثين المتخصصين طبيعة الدراسة المقارنة، ودورها فى رصد الصلات بين الحضارات والشعوب بقوله:- "**الأدب المقارن على هذا الشكل**

هو فهم أكثر انسجاماً مع التسمية المصطلحية نفسها، أيّ "الأدب المقارن". فالمفهوم نفسه لا يحصر المقارنات في الظواهر الأدبية التي تقوم بينها صلات تأثير وتأثر، بل يترك باب المقارنة مفتوحاً أمام كلّ الموازنات التي يمكن أن تجرى بين ظواهر أدبية تنتمي لأكثر من أدب قومي، شريطة أن تكون هذه الموازنات مجدية وغير اعتباطية. والموازنات المجدية هي الموازنات ذات القيمة المعرفية الكبيرة، التي تساعدنا في فهم الظواهر الأدبية المقارنة وتفسيرها بصورة أفضل."(31) وإذا كان الأدب المقارن هو وسليتنا لكشف المثاقفة وأبعادها فإنه يشتمل على مدارس متعددة في إطار تحقيق التواصل بين الشعوب ؛ فهناك المدرسة الفرنسية التي تشترط المثاقفة لعقد الدراسة المقارنة وجود أدلة تاريخية على استفادة أدب ما من أدب آخر، وهناك المدرسة الأمريكية لا تشترط ذلك بل تكتفي بعقد المقارنات بين الموضوعات المتشابهة والأشكال المتناظرة؛ وعلى هذا النحو يمكن تسمية المدرسة الفرنسية بالمدرسة التاريخية، ويمكن تسمية المدرسة الأمريكية بالمدرسة النقدية. ويركز هذا التعريف على ترك باب المقارنات مفتوحا على مصراعيه، وذلك للاستفادة القصوى من خلال المقارنات بينهما، وأخذ ما يتناسب مع ثقافة شعب أو حضارته، وترك ما يتنافى معها.

حركة الاستعمار:

يعد الاستعمار من أهم نتائج الحركات الاستعمارية على مر العصور، وعلى مختلف البلاد، كما ذهب أحد الباحثين في تعريف الاستعمار بأنه:**–"تعبير أطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية**

على شعب آخر،نهب ثرواته، واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين. ويرافق ذلك اتخاذ مخططات تحويل هذا الشعب عن دينه ومفاهيمه، ومبادئه، وأخلاقه، وسلوكه الفردى والاجتماعى إلى ما عليه دولة الشعب الغالب المستعمر، من مبادىء ونظم وعادات، إذا كان بين الغالب والمغلوب تباين فى ذلك."(32)

بينما يعرف المستعمر نفسه بأنه:**-"هم الذين يقومون بمخططات وأعمال عسكرية وسياسية وغير ذلك ، تمكنهم من الاستيلاء على شعب غير شعبهم بالقوة وأنواع الكيد والمكر الاستيلائى."**(33) ومن خلال تعريف الاستعمار والمستعمر، وضحت أهدافهم الماكرة فى استغلال شعب بأكمله، وطمعهم الزائد فى ثروات غيرهم ، وبلاد غيرهم من الشعوب المجاورة، وغير المجاورة.

وقد وفدت الحملة الفرنسية على مصر ما بين عامى (1798 م-1801م) ، وذلك لأهداف استعمارية خاصة بفرنسا، فقد كانت تريد إنشاء إمبراطورية خاصة بها فى بلاد الشرق، وتتخذ من مصر قاعدة ومنطلقا لها تسيطر من خلاله على بقية الدول العربية، وشجعها على ذلك موقع مصر الجغرافى، وكنوزها الطبيعية، ومكانتها العالمية، بين جيرانها من دول العالم. فقد كان احتلال مصر رغبة قوية لدى فرنسا، وهدفا منشودا لها، وكانت بمنزلة أمل لساستها وقادتها ينتظرون الفرصة السانحة لتحقيقها متى سنحت لهم، وكانوا يبعثون فى سبيل ذلك رجالهم إلى مصر على هيئة تجار أو سياح أو طلاب، ويسجلون تاريخها فى تقارير يرسلونها إلى قادتهم . ولما بدأ الضعف يتسرب إلى الدولة العثمانية أخذت فرنسا

تتطلع إلى المشرق العربى، وكانت تقارير رجالهم تحرضهم على ذلك، وتحثهم بأن اللحظة المناسبة قد حان أوانها ولابد من انتهازها، ولقد أذاع (نابليون بونابرت) فى بيان له وسط الجنود قبل النزول إلى البر أكد فيه الهدف من هذا الاحتلال قائلا:-**"أيها الجنود،سوف توجهون إلى إنجلترا الضربة القاضية التى لم تكن تتوقعها أو تخطر لها على بال ، وسوف نقضى على المماليك عملاء إنجلترا والذين يعملون لحسابها ويحاربون تجارتنا وتجارنا وينزلون بهم كل ضروب الإهانة. سوف نسحقهم ولن تقوم لهم قائمة بعد بضعة أيام من هبوطنا.إن المدينة الأولى التى ننزل إليها تستمد اسمها من الإسكندر الأكبر،وهو الذى أقامها وفى كل شبر وخطوة سوف نجد أثرا وذكرى نستلهمها فى معاركنا وإنجازتنا "**(34) وتتضح الأهداف متمثلة فى توجيه ضربة قاضية لإنجلترا، وضربة قاضية للمماليك أيضا فى الوقت نفسه؛ لتحالفهم مع إنجلترا، والتسبب فى الإضرار التى أصابت تجارتهم، وتجارهم فى الوقت نفسه. وبدأت الاستعدادات لتجهيز الحملة على أكمل وجه، وكان (نابليون بونابرت)، يشرف على التجهيزات بكل عزم ونشاط ويتخير بنفسه القادة والضباط والعلماء والمهندسين والجغرافيين، وعنى بتشكيل لجنة من العلماء عرفت باسم لجنة العلوم، والفنون وزود الحملة بمطبعة خاصة للحرف العربى بها، وهذا ما أكده الباحث فى قوله عن إيجابيات الحملة الفرنسية لمصر فى قوله:-**"لم يزعم أى معلق أو مؤرخ فرنسى أو مصرى، شرقى أو غربى أن نابليون بونابرت جاء إلى مصر فى مهمة**

حضارية تنويرية؛ ليحمل إليها علوم الغرب وفنونه، وليبشر بمبادىء الثورة الفرنسية فى الحرية والمساواة والإخاء."(35)

ولا نستطيع أن ننكر ذلك أو نغفله، فقد كان للاحتلال الفرنسى إيجابيات مثلما كانت له سلبيات، وتتمثل هذه الإيجابيات فى اكتشاف حجر رشيد، وفى التأثر بعادات حسنة، ولينة ورقة فى الطباع، وفى إدخال أدوات وأساليب تعليمية جديدة لم تكن تعرفها مصر فى ذلك الوقت؛ مما أدى إلى تأثير الحملة الفرنسية فى مصر وشعبها، وتأثر الحملة أيضا بما وجدته فى مصر وكان جديدا عليها، ومفقودا لديها.أما سلبيات الحملة فتمثلت فى الاغتصاب والقتل والتدنيس، لاسيما للأماكن المقدسة مثل الأزهر الشريف فى قول الباحث:**–" دخلت الجنود الفرنساوية المدينة وأخذوا فى تسكين الناس وتفريق الجموع وفرقوا الخيالة فى الأسواق للغفر فأدخلوا جنودهم إلى الجامع الأزهر وكسروا قناديله ومحوا ما كان مكتوبا عليه من الآيات القرآنية."(36)**

وقد رافقت الحملة الفرنسية فى مصر (1798م- 1801م) مجموعة من العلماء فى شتى مجالات العلم، وعدد كبير من المتخصصين من خيرة الفنانين والرسامين والتقنيين، من كيمائيين وفلكيين وأطباء، وقام هؤلاء العلماء بعمل مضنى لدراسة أرض مصر من شمالها إلى جنوبها، وقاموا برصد وتسجيل كل أمور الحياة في مصر آنذاك وكل مايتعلق بالحضارة المصرية القديمة فى كتاب وصف مصر وتميز هذا الكتاب بصور ولوحات شديدة الدقة والتفاصيل، ويعد هذا الكتاب الآن أكبر وأشمل موسوعة للأراضى والآثار المصرية وأكبر مخطوطة يدوية مكتوبة ومرسومة برسوم توضيحية ، وتميزت الدراسة بالعمق والدقة، بالإضافة إلى توثيق كل مظاهر الحياة والكنوز التاريخية والفنية والدينية المصرية، وتسجيل جميع جوانب الحياة النباتية والحيوانية والثروة المعدنية آنذاك؛ ولذلك قال بعض

المؤرخين:-"**كان ظهور السفن الفرنسية، بمن تقل من جنود وضباط وقواد وعلماء وذخائر وبنادق ومدافع، فاتحة عصر جديد لمصر، بدأ بالاحتلال الفرنسي.**"(37) أى أنه يعد الحملة الفرنسية على مصر، بداية عصر التنوير والتعرف على طباع الفرنسيين وعلومهم، ودخول مصر فترة الحداثة. فقد كان للحملة فوائد تمثلت فى إيجابياتها، كما يرى بعض الباحثين، وكان لها أضرارا تمثلت فى الاحتلال وسلب الأرض، ونهب الثروات.

وبالرغم من ذلك يوجد من خالف هذا الرأى فى جلب الحملة الفرنسية للثقافة والتنوير إلى مصر، وقد ذكر د.عمارة فى قوله:"**بونابرت – وهو فى طريقه إلى مصر – أحضر معه مطبعة "البروباجندا" من "إيطاليا" ليطبع بها بيانات التضليل للشعب المصرى، تلك التى زعم فيها أنه مسلم أكثر من المماليك، ثم خرجت هذه المطبعة من مصر بخروج الحملة الفرنسية ،فلم يكن لها أى أثر ثقافى.**"(38). ولقد جلب (نابليون بونابرت) المطبعة لخدمة أغراضه السياسية، وطباعة البيانات التى يلقيها على الشعب المحتل. وليست لخدمة الشعب المصرى؛ وبالرغم من ذلك كان لها دور فى إبراز بعض المعالم الثقافية، واكتشاف حجر رشيد، حيث استطاع شامبليون فك رموزه واكتشاف أسرار اللغة المصرية القديمة، وقد ساعد فك رموز اللغات المصرية القديمة (الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية) من معرفة أسرار الحضارة الفرعونية.

وكان اكتشاف الحضارة المصرية القديمة، وقيام العلماء الفرنسيين بتأليف كتاب وصف مصر الذى يصف مصر منذ قيام الحضارة الفرعونية إلى خروج الحملة من مصر، وتعد من الآثار التى تركتها الحملة؛ فهم عملوا على استلاب خيرات البلاد، ويرى د.عمارة أن النشاط العلمى والحركة الثقافية التى أحدثتها الحملة

الفرنسية، كانت من أجل أهداف استعمارية في قوله:-"**لقد كان هذا (المخطوط السرى لغزو مصر) دليل نابليون بونابرت وحملته الفرنسية على مصر .. بل وما كان كتاب (وصف مصر) – الذى وضعه علماء هذه الحملة الفرنسية– إلا الصورة المتطورة لهذا المخطوط ..فالمقصود والمراد هو وصف الواقع لاحتلاله ونهب ثرواته ودراسة عقل الأمة وفكرتها وعاداتها وتقاليدها ومورايثها، لتدبير كيفية التعامل معها، ليتأيد ويتأبد هذا الاحتلال!.**"(**39**)

ويبدو أن استلاب الخيرات، ونهب الكنوز، واحتلال الأراضى بما فيها إضافة لدراسة عقل الأمة، وأفكارها، وعاداتها وتقاليدها ومواريثها؛هو الصورة الراهنة لفكرة كتاب وصف مصر، لكى يتدبروا أمورهم فى طريقة التعامل معهم، وكيفية النهج على أسلوبهم؛ لكى يستطيعوا معايشتهم خلال فترة الاحتلال، وقد ذهب أحد الباحثين فى قوله إلى أن:-" **فى سنة 1797م تألفت حملة نابليون إلى مصر، وفيها بعثته العلمية التى كان قوامها المستشرقون والمترجمين الشاميين من أمثال الأب "روفائيل" الراهب المخلص لهم و"ميخاييل الصباغ" و" نقولا الترك"، وعلماء أعلام فى كل فن من فنون الثقافة فى ذلك العصر؛ ليمكن اعتصار كل خيرات البلاد والسيطرة على كل شىء فيها من إنسان وحيوان ونبات ومعتقدات. وكان من أثرها انتشار الثقافة الغربية فى الشرق، وازدهار الاستشراق فى الغرب.**"(**40**) ووضحت آثار الحملة الفرنسية على مصر فى جانبين:- أولهما نافع ومفيد وهو انتشار الثقافة، واكتساب بعض الثقافات الجديدة عليهم والتأثر بها، وآخرهما الجانب الضار وهو الاحتلال، واستغلال الثروات المتاحة لهم فى أراضى المحتل، بل واعتصار هذه الخيرات، والسيطرة على كل ما فيها من إنسان وحيوان ونبات ومصادر وموقع جغرافى مميز.

ويمثل الاحتلال الانجليزى بداية من حملة (فريزر) 1807م، والتى رأت ما أبهرها من كنوز الشرق وخيراته ، ومن عظمة حكامه، ومن فكره الراقى والرصين ومن ثم اختلفت النظرة؛ لأنهم يريدون ذاتهم فقط ؛ فلا يرون غيرها ويقللون من شأن الآخر(الشرق) مهما كان هذا الآخر؛ لاسيما العرب وإن كنت أرى أن هذا الاحتقار والتقليل من الشأن فى قوله:-**"بعد ست سنوات على جلاء الحملة الفرنسية، كشف خلالها الشعب المصرى عن أصالته واستعداده للنضال، اعتقدت انكلترا أنه فى مقدورها احتلال مصر كلها بستة آلاف مقاتل وقد نسيت أن الحملة الفرنسية وقوامها ستة وثلاثون ألف مقاتل قد فشلت قبلها، وهكذا حلت الهزيمة بإنكلترا أمام صمود الحركة الوطنية فى رشيد والحماد، ومساندة القوى الوطنية لها فى القاهرة وكل مكان."**(41) ما هو إلا عدائية موجهة للعرب عامة والمسلمين خاصة، والتركيز على إظهار تخلفهم وعدم مواكبتهم للتطور والتقدم، حيث إنهم ذات نزعة حقد دينية متأصلة، وهم يكرهون الإسلام، ويكرهون من يدين بدينه ويؤمن به، فما أمامهم إلا أن يقضوا على العرب عن طريق احتلالهم، واستغلال حضارتهم بكل ثرواتها المختلفة والمتنوعة.

يؤكد د.عمارة استغلالهم للفرصة فى قوله: -**"توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار. ولذا فيهم الإنجليز قبل أن تقع الواقعة أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث، عند وقوعه فيحققوا مصالحهم السياسية. وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر- كما استحال ذلك من قبل على فرنسا- فيكفى أن يخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق فى البحار المحيطة بها."**(42) ولم تنس بريطانيا مشروعها السابق فى التفكير منذ سنوات طويلة لاحتلال مصر، والتى تمثلت فى حملة فيريزر على مصر عام 1807م والتى باءت بالفشل

الـذريع ؛ ولم تيـأس إنجلـترا ولكنهـا عـادت مـرة أخـرى فى عـام 1882م لاستكمال مـا فشـلوا فيـه سـابقا، ولاحـتلال مركـز الحضـارة ، وبـؤرة الشـرق، وقلب الوطن العربى.

وأرخ الكثـير مـن المـؤرخين لهـذه الحمـلات الـتى جـاءت علـى أرض الشـرق، لـذلك يؤكـد المـؤرخ الرافعـى اسـتعداد إنجلـترا للحـرب علـى مصـر فى قولـه:-"**كانـت إنجلتـرا تسـتعد للحرب.قبـل انعقـاد مـؤتمر الآسـتانة وخـلال اجتماعـه، وقبـل أن يقـر قـراره بـدعوة مـن تركيـا إلـى إرسـال جـيش لهـا إلـى مصـر، وأخـذت تـدبر الأسـباب والـذرائع للتعجيـل بضـرب الإسـكندرية، لكـى تضـع المـؤتمر أمـام الأمـر الواقـع**."(43) ويتفـنن الانجليـز فى اخـتلاق الأسـباب والـدوافع،التى تمكـنهم مـن احـتلال مصـر، وضـرب الإسـكندرية، وتمكيـنهم مـن احـتلال أكـبر قـوة عربيـة فى ذلـك الوقت.

"**ولـم يكـن أسـهل علـى القـوة الغشـوم مـن أن تختـرع الوسـيلة لإثـارة القتـال؛ فقـد أرسـل الأميـرال سـيمور فـى أول يونيـه سـنة 1882م إلـى مجلـس الأميراليـة البريطانيـة ينبئهـا أنـه اكتشـف بعـض ترميمـات يقـوم بهـا المصـريون فـى حصـون الإسـكندرية، وأنهـم يركبـون بطاريـات جديـدة تجـاه بوارجـه، وأن الاسـتعدادت الحربيـة قائمـة فـى الـبلاد** ."(**44**) هـذا مـا اختلقـه الإنجليـز لكـى يـؤدوا مهمـتهم ويبطشـوا بـالبلاد، بحجـة الـدفاع والمحافظـة علـى أرواحهـم، مـن بطـش المصـريين بهـم، ولقـد عـاش الإنجليـز فى مصـر، وبـدأت عمليـات الاحتكـاك المباشـر بينهـم، وانتقلـت بمراحـل عديـدة، فمـن مرحلـة الاستسـلام إلى مرحلـة التعـايش والانبهـار والحـوار إلى مرحلـة المقاومـة، واتخـذت كـل فئـة لنفسـها مـا تريـده؛ فمـنهم مـن تعلـم لغـتهم، وأخـذ عـنهم، حـتى بعـد جـلاء الإنجليـز عـن مصـر انتشـر التعلـيم باللغـة الإنجليزيـة وكـادت أن تصـبح اللغـة الرسميـة للـبلاد، وأصـبح مـن يـتعلم بهـذه اللغـات، يعد من أبناء الأغنياء والذوات.

ولم يقف الإنجليز عند حدود الاحتلال فقط، وإنما كان هدفهم الأساسي؛ هو تقسيم المنطقة وتوزيعها على الدول الغربية؛ لتأخذ كل دولة نصيبها كما نصت عليه اتفاقية سايكس بيكو، وذهب الباحث فى قوله:-"**إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا أى دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربى فى المنطقتين (أ)(داخلية سوريا)و(ب)(داخلية العراق)المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا فى منطقة(أ) ولإنكترا فى منطقة(ب) حق الأولوية فى المشروعات والقروض المحلية،وتنفرد فرنسا فى منطقة (أ) وانكترا فى منطقة(ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب،بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.**"(45) وتنص معاهدة سايكس بيكو عام 1916م، على اثنتى عشر مادة ، تنص على تقسيم الدول العربية على فرنسا وحليفتها انجلترا، وجاءت بعد فترات الاحتلال الفرنسى عام 1798م، والاحتلال الإنجليزى عام 1882م، والتحكم فى مصير الدول العربية، واعتصار ثرواتها، ونهب كنوزها وهذا هو الهدف الأساسى بالنسبة لأىّ احتلال موجه لأية دولة من الدول الشرقية، وتحديدا الدول العربية والإسلامية.

توصلت الباحثة في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1- تطور العلاقة بين الشرق والغرب على فترات متباينة من استعمار واحتلال وصدام وتبادل ثقافى (مثاقفة)، وصولا إلى تضييق العلاقة على الأنا والآخر، ووصولهما إلى علاقة مقارنة ومنافسة وعدائية فيما بينهما، وكأن العلاقة انتهت من حيث بدأت؛ فقد انتهت بالصدام والمقاومة عقب الحادثة محل الدراسة، مثلما بدأت بالصدام فى الاستعمار والغزوات والحروب.

2- اختلاف موقف الحضارة الشرقية والحضارة الغربية، من فترة الاحتلال الفرنسي من موقف استسلام وخضوع وضعف وعدم القدرة على المقاومة، إلى موقف صمود ومواجهة ومقاومة خلال الاحتلال الانجليزى متمثلة فى ثورة 1919م التى قادها الزعيم سعد زغلول، وما تبعها من حركات مقاومة ضد الاحتلال الغاشم.

3- تطور العلاقات بين الشرق والغرب ومرورها بمراحل مختلفة، إلى أن وصلت إلى علاقات تصادمية، ومواقف مقاومة بنيت على النظرة العدائية للإسلام والمسلمين، وفهم الدين الإسلامى فهما مجانبا للصواب، بنى الغرب عليه هذا الصدام بين الحضارتين (الشرقية والغربية).

4- زيادة الأطماع فى دول الشرق؛ وذلك بسبب كثرة خيرات الشرق المتنوعة، وطمعا فى بناء إمبراطورية قوية، وقاعدة على أرض الشرق متمثلة فى مصر، مثلما كانت تحلم فرنسا ببناء إمبراطوريتها فى الشرق على أرض مصر؛ ولكنها فشلت فشلا ذريعا.

5- أثرت هذه الأسباب تأثيرا مباشرا على أساس التلاقح العلمى، والأدبى وترجمة الأفكار والكتب ونقل الخبرات والمعلومات؛ فبدأ كل يوم يكتب نصا يورد فيه اسم الغرب أو بلد غربى ما، ينحاز إليها الكاتب بشكل كامل؛ وكأنه غربى مثلهم، بل بدأت فى بعض الكتابات ظاهرة الانبهار والتعايش والحوار، وسرد مظاهر ازدهار الغرب وتقدمه فى كل مجالات الحياة، وطغى هذا الوصف على الناحية الآدمية عن طريق وصف البشر، ووصف نظافتهم وجمالهم

واهتمامهم بأنفسهم؛ وكأننا- نحن الشرق لا نعرف للنظافة طريق، بل ولا نعرف كيفية الاهتمام بأنفسنا، فضلا عن باقى المجالات الأخرى، التى نجهلها تمام الجهل من وجهة نظرهم .

الإحالات:

1 . قاسم عبده قاسم – ماهية الحروب الصليبية – الكويت - عالم المعرفة – مايو 1990م – ص 7- ص8.

2 قاسم عبده قاسم – المرجع نفسه– ص .8

3 محمد نور الدين أفايه ـ الغرب المتخيل صورة الآخر فى الفكر الإسلامى الوسيط – ط1- الدار البيضاء – المركز الثقافى العربى – 2000م - ص .147

4 مصطفى نبيل : العرب وعلاقاتهم بالغرب "مقال ضمن كتاب الغرب بعيون عربية" - الكويت - سلسلة كتاب العرب . وزراة الإعلام . 2005- ص 91

5 مصطفى نبيل - مرجع سابق - ص.91

6 زكى محمود نجيب - الشرق الفنا ن – القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1985م- ص13. ص14 .

7 سعد البازعى – ميجان الرويلى – دليل الناقد الأدبى – ط3- الدار البيضاء- المغرب - المركز الثقافى العربى- 2002- ص33

8 عبد المتعال محمد الجبرى- الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى – ط1- مكتبة وهبة- القاهرة - 1995م- ص13

9 عبد الرحمن حسن حبنكة – أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير - الاستشراق- الاستعمار- ط8 - دمشق – دار القلم -2000م- ص53

10 عبد الرحمن حسن حبنكة – أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير – الاستشراق- الاستعمار- ط8 – دمشق – دار القلم -2000م- ص53

11 محمد بو زواوى – قاموس مصطلحات الآدب – الجزائر – دار مدنى – 2003- ص21-22

12 عبد الرحمن حسن حبنكة – مرجع سابق- ص54

13 برنارد لويس – مسألة الاستشراق فى كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضية – ت- هاشم صالح – بيروت – . 1994م . ص. 161

14 رودى باروت – الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الالمانية- ترجمة مصطفى ماهر- دار الكتاب – ص .22

15 رودى باروت – الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الالمانية- ترجمة مصطفى ماهر- دار الكتاب – ص .22

16 إدوارد سعيد- الاستشراق (المعرفه – السلطه – الإنشاء)- ط5 – ت- كمال أبوديب- بيروت – مؤسسة الأبحاث العربية-1981م – ص71

17 إدوارد سعيد – مرجع سابق– ص41

18 فرانسيسكو غابرييلى – إثناء على الاستشراق مقال ضمن كتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه- ص .21

19 إدوارد سعيد – تعقيبات على الاستشراق- ت- صبحى حديدى – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر- 1996م- ص 5

20 مصطفى السباعى- الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)- المكتب الإسلامى- دار الوراق- 2003م – ص 19-.20

21 وائل غالى – ما بعد الاستشراق – الجزء الأول– دار الهلال – العدد 684– 2008م – ص3

22 وائل غالى – مرجع سابق– ص11–12

23 إدوارد سعيد – مرجع سابق– ص 114–115

24 إدوارد سعيد – مرجع سابق– ص 118

25 عبد المتعال محمد الجبرى– الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى – ط1– مكتبة وهبة– القاهرة– 1995م– ص16

26 عبد المتعال محمد الجبرى– المرجع نفسه – ص 16

27 عبد المتعال محمد الجبرى– المرجع نفسه– ص 76

28 محمد حمدى زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى – ط5 – القاهرة – دار الفارابى –1989– ص144

29 محمد غنيمى هلال – دور الأدب المقارن فى توجيه دراسات الأدب العربى المعاصر – القاهرة– نهضة مصر للطباعة والنشر–ص 16

30 محمد غنيمى هلال – المرجع نفسه – ص 16

31 محمد غنيمى هلال – مرجع سابق – ص 16–17

32 أحمد مختار عمر– مرجع سابق– ص74

33 عبده عبود – الأدب المقارن مشكلات وآفاق – منشورات إتحاد الكتاب العرب 1999 م – ص 14

34 عبد الرحمن حسن حبنكة – مرجع سابق – ص54

35 عبد الرحمن حسن حبنكة – مرجع سابق - ص54

36 محمد عودة – الحملة الفرنسية على مصر نختفل أو لا نختفل – ط1 - القاهرة - دار الثقافة الجديدة – ص 6- ص7

37 محمد عودة – المرجع نفسه – ص5

38 جورجى زيدان – تاريخ مصر الحديث – ج2- المقتطف – 1889م- ص182

39 أحمد حافظ عوض – نابوليون بونابارت فى مصر- القاهرة –كلمات عربية للترجمة والنشر- 2012 – ص 94

40 محمد عمارة – الحملة الفرنسية فى الميزان – القاهرة- مكتبة الشروق الدولية – 2005- ص 34

41 محمد عمارة - مرجع سابق- ص 12

42 عبد المتعال محمد الجبرى – مرجع سابق – ص76- ص77

43 عصام محمد شبارو- المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسى والغزو البريطانى- دار التضامن للطباعة والنشر – 1992-ص 113

44 محمد عمارة- مرجع سابق – ص 57- ص58 .

45 عبد الرحمن الرافعى – الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى- ط4 - القاهرة – دار المعارف – 1983م- ص295

46 عبد الرحمن الرافعى – مرجع سابق – ص 295